أصول الشغب على المحدثين بالاهتمام بنقد السند دون المتن

إعداد
د. نضال حسن فلاح المومني
أستاذ مساعد في الحديث النبوي الشريف
قسم العلوم الأساسية - كلية عجلون الجامعية
جامعة البلقاء التطبيقية – المملكة الأردنية الهاشمية

موجز عن البحث

يعتبر البحث مهمـًا لبناء ملكة تخدم الحديث في وجه شبهات تدعي التقصير بنقد متن الحديث، والاقتصار على السند فقط، وتسعى، وتهدف هذه الدراسة إلى بيان تأصيل مناقشة هذه الشبهة عند أهل الحديث، ومن ذكروا هذه الشبهة بدراسة كلام السابقين، والمعاصرين واِجتِثاثها بالنماذج، وتوصل الباحث إلى أن المعتزلة طعنت في المنهج الذهبي عند المحدثين، وحذا حذوهم حذو القذة بالقذة جملة من المستشرقين ، وتابعهم بعض المتأخرين بسبب الضحالة أو عدم نضج علم الحديث عندهم، وراجع الباحث ما تم طباعته مما لم يتوفر لمن سبقه، وتبين أن الشبه ناتجة عن تحكيم العقل في النقل، وكان النقد سلبي بدون ضوابط، ولا موضوعية فبعض الأحاديث يقبلها البعض، ويرفضها البعض بالرغم أن المحدثين كانوا يصححون المتن أحيانا، ويضعفون السند والعكس، واستفدت من المنهج التاريخي،والتحليلي: ببيان جذور الشغب على المحدثين منذ عصر المعتزلة، وحتى العصر الحاضر ، وقد قسمت الدراسة إلى ثلاثة مباحث:في الاهتمام بالسند والمتن، وعيب المحدثين من المعتزلة، ثم من المستشرقين، ثم من بعض المعاصرين، وختمت بالنتائج .

الكلمات المفتاحية: السند، المتن، نقد السند، نقد المتن، المعتزلة، المستشرقين.

Deficiency Focus And Attention Enumerate The people Who Have Heard The Hadith And Leave The text Of Hadith

NEDAL HASAN FALAH ALMOMANI
Basic Sciences Department - Ajloun University College - Al-Balqa Applied University - The Hashemite Kingdom of Jordan
Email: asamanedal@bau.edu.jo

Abstract :

This research paper is important in building up a good understanding to serve Hadeeth Shareef in the face of lots of suspicions that claim having no good efforts in criticizing the speech of the Prophet (PUH)and his followers in Hadeeth Shareef but focusing and caring about the narration of the persons who heard the Hadeeth. This study identifies the discussion of such suspicion for the people of Hadeeth Shareef ،in addition to those who mentioned the suspicions in the speech of the previous time people and the modern ones،as well and giving models and examples for that. The researcher found that Almu'tazilah(and the orientals) refused the golden method of the Hadeeth Speaker's and some others by insulting the Prophet's followers It was clear that the similarity was resulted from the mind control in the process of transfering،in addition، the negative unstructured criticism was not controlled and not subjective. Therefore، some Hadeeth Shareef were accepted by some and refused by others، The Researcher benefited from the historic analytical method in clarifying the origin of Hadeeth Speaker's confusion since the age of mu'tazilah until resent time. The study is divided into three research areas: caring about Hadeeth prophet's speech and narration of heard Hadeeth by persons، the faults of almu'tzilahHadeeth Speaker's and the orientals and the modern Speaker's.

Key words: Hadeeth narration، prophet's (puh) peech، Hadeeth narration criticism، Prophet's (puh) peech narration، Almu 'tazilah، Orientals.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

لقد منّ الله علينا بنعم سابغة بإرسال نبينا(ﷺ)، وبعثته برسالة خاتمة للشرائع، ومن هنا جاء الاهتمام بأصول الشغب على المحدثين بالاهتمام بنقد السند دون المتن أهمية هذا الموضوع، والهدف، وسبب اختياره كبيرةٌ في خدمة حديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كما أن الاشتغالَ بهذا الموضوع يعطي المسلم دقةً في النظر لمعالي الأمور، ودرايةً في فهم الدراسات الحديثة للسنة النبوية، ويسهم في بناء شخصية المسلم العلمية، ويقوي عنده ملكة النقد القائمة على المنهج العلمي في البحث والنقد وفق التأصيل العلمي، ويوضح معرفة مناهج الأئمة الجهابذة في تعاملهم مع السنة، وطرقهم في كشف عِلل الأخبار ثم كشف اللثام عن نماذج تطبيقية توضح جهود العلماء، والنقاد في ذلك، وقد استثار حفيظتي أيضـًا بعض الكتاب المعاصرين أو رواد الفضائيات من غير أصحاب التخصص أومن يُنصبُ لسنة النبي(ﷺ)، والدين الإسلامي من المغرضين أو حتى الجهلة بعلم الحديث الذين ما فتئوا في إثارة الشبهات تحت عناوين براقة تبين أن أهل الحديث لم يعتنوا بنقد المتن للحديث بل اعتنوا بنقد السند فقط، وتسعى هذه الدراسة إلى حلِّ جملة من الأمور منها: هل هذه الشبهة جديدة؟ وهل هناك تأصيل لهذه الشبهة، واهتمام أصحاب الاختصاص بذلك أم لا؟ مع أهمية بيانه إن وجد بالنماذج التطبيقية؟ وهل قصر أهل الحديث في نقد المتن النبوي فكان اهتمامهم مقصوراً على السند فقط؟ أما الدراسات السابقة: فإنَّ هذا الموضوع فيما علمت لم يبحث بحثـًا مستقلاً، وهذه الدراسة تختلف عن الدراسات الواردة في موضوع نقد المتن كالمنار المنيف لابن القيم، ومنهج نقد المتن للدكتور صلاح الدين الأدلبي وغيرهما،

أو السند والمتن مثل كتب العلل وغيرها، ولكن نحن بحاجة لتأصيل هذه الشبهة، وأحسن ما وجدت كتاب موقف المدرسة العقلية من السنة للأمين الصادق، وغيره؛ ولكنه مثلاً تكلم عن طعن المعتزلة أو غيرهم مثلاً، ولكن لم يرجع لكتب المعتزلة المطبوعة، وناقش القوم بناء على ما قيل عنهم، ويضاف لذلك أنه طبع بعض الكتب المخطوطة من كتب القوم كقبول الأخبار، وتم ترجمة كتب آخرين في العصر الحاضر؛ "وينبغي للباحث أن يرجع للمصادر الأصلية، ولا ينقل عنها بالواسطة إلاَّ عند فقدها"(١)فكان لا بد لزاماً من تتبع كلام من أثاروا هذه الشبهة، ومن جاء بعدهم، وإقامة الحجة عليهم من كتبهم خاصة أولاً ثم الإفادة مما نُقل عنهم لعدم كفاية المطبوع عند ردنا آراء السابقين ذلك كما في هذه اللبنة في بناء السنة الشامخ، لأنهَّا تقوم على دراسة كلام السابقين والمعاصرين في الشغب على السنة، وبيان أوجه التوافق بينهم ومعالجة النقاد لها قديماً وحديثاً وفق المنهج العلمي، فهذا البحث لبنة تزيد ثقتنا بالجهابذة لله دَرُّهُم حفظ الله بهم، وبكل قلم مخلص، سنةَ الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.وقد أثريت هذا البحث بالأمثلة التطبيقية ولولا مخافة الإطالة لتوسعت في ذلك بغية إماطة اللثام عن هذه الشبهة التي ألصقت بأهل الحديث، ومن الصعوبات للبحث: صعوبة الوصول لكتب المعتزلة التي ردَّت على المحدثين، وتوفر كتب المستشرقين بغير اللغة العربية، والجهد للوصول لما هو مترجم منها، ثم كثرة ترديدُ الشبهة عند المتأخرين بقوالب لا حصر لها تطعن في سنة النبي(ﷺ).ومن الآفاق المتعددة للبحث غير الجانب الذي جرى عليه البحث والدراسة: ترجمة كتب المستشرقين لهذه الشبهة

(١) أكرم ضياء العمري، مناهج البحث وتحقيق التراث، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٩٩٥م) ط١، ص: ٦٦.

وغيرها، وتحقيق كتب جملة ممن طعن بالسنة؛ وذلك لمناقشتهم بالبناء على ما قالوا لا ما قيل عنهم، وبالحديث عن منهج الدراسة: فقد استخدمت أكثر من منهج في هذه الدراسة: كالمنهج الاستقرائي: حيث تتبعت أراء السابقين من خلال كتبهم، وأشرت للتوسع في ذلك، والمنهج التحليلي النقدي: وهو مرتبط بالمنهج السابق حيث قمت بأخذ الدراسة الاستقرائية وقمت بتحليل وجمع أراء النقاد في من طعن المحدثين بالاهتمام بالسند دون المتن بما ينطوي عليه من بيان كلام النقاد، أما المنهج التاريخي: فذكرت التسلسل التاريخي ببيان جذور الشغب على المحدثين منذ عصر المعتزلة، وحتى العصر الحاضر بنماذج تطبيقية توضح ذلك"فصاحب الفكرة الأولى أحق بعزوها إليه"[1].وقد قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث، وأربعة مطالب: المبحث الأول: في الاهتمام بالسند والمتن و التشنيع(الشغب)على المحدثين بالاهتمام بنقد السند دون المتن من المعتزلة. وفيه المطلب الأول: الاهتمام بالسند والمتن.أما المطلب الثاني: فجاء بالتشنيع (الشغب)على المحدثين بالاهتمام بنقد السند دون المتن من المعتزلة، ومن طعن في الأحاديث.المبحث الثاني: عيب المحدثين بالاهتمام بنقد السند دون المتن من المستشرقين.المطلب الأول: نماذج من المستشرقين الذين هاجموا المحدثين بالاهتمام بنقد السند دون المتن، المطلب الثاني: نموذج لنقد المستشرقين للمتون، المبحث الثالث: كلام من تأثر بالمستشرقين، وختمت البحث بخاتمة، بينت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها البحث.وأمد أكف الضراعة إلى الله أن يجعل عملي خالصاً ابتغاء وجهه الكريم آمين.

(١) العمري، مناهج البحث، ص: ١٠١.

المبحث الأول
الاهتمام بالسند والمتن والتشنيع (الشغب)على المحدثين بالاهتمام بنقد السند دون المتن من المعتزلة

إن دراسات الحديث النبوي الشريف مَعِينٌ لا ينضبُ، ورحيقٌ كم ترك الأول فيه للآخر، وكلما غاص البحَّار الحاذق في أعماقه وجد من اللآلئ والدُّرر والياقوت ما تفنى الأعمارُ في التوقِ إلى تحصيلهِ وجني ما فيه، ويبقى عبق سُنَّة أبي القاسم خير عبيرٍ يستقي منه الظمآن ما تهفُ إليه أفئدة المخلصين لآخرتهم، فتهوي لرد كل شائبةٍ يحسَبُها بعضُ الناس ماءً؛ وما هي إلا كباقي العلوم لا يعرف ما دق منها إلا الجهابذة من أهلها، وأحاول أن أُسلط الضوء في هذه الباقة على ما يثارُ من الاهتمام بنقد السند دون المتن من أهل الحديث فولغ في هذه الشبهة أناس كانوا بحاجة لبيان ما نسأل الله أن يجعله سببا في رجوع كل منهم، ومن حذا حذوهم إلى جحورهم لأنهم لم يحسنوا السباحة، وهذا الجهد ما هو إلا زهرة تضم إلى بنيان السنة أحببت أن أقدم لها بأمور رأيتها جدُّ مهمة تبين في عجالة جهود العلماء في الاهتمام بالسند والمتن بتوازن.

المطلب الأول
الاهتمام بالسند والمتن

تثور بين الفينة والأخرى قديماً وحديثاً كتابات ونقاشات تتكلم حول اهتمام المحدثين بالسند دون المتن، وهل يلزم من صحة السند صحة المتن؟ كقاعدة كلية لا يلزم من صحة سند صحة أي متن يضاف إليه؛ لكن التلازم بين صحة السند والمتن أمر وَاضِحٌ بيِّن عند البحث التطبيقي، ومثاله: قال الذهبي: "مُحَمَّد بن عَليّ الشرابي شيخ

لتَمام الرَّازِيّ وضع على سَنَد صَحِيح: أكذب النَّاس الصواغون والصباغون"[١]؛ فكل علة أو خلل في المتن مرجعها إلى السند، يقول محمد الأعظمي: "ولو أنني أرى أن القاعدة الكلية هي صحة الإسناد تستلزم صحة المتن، أما في الأمثلة المذكورة...أو في أحادث مماثلة فهي قضايا شاذة ناردة الوجود لذلك بالرغم من وجود هذا الأصل، لا يمكن اعتباره كقاعدة"[٢]، ويقول فاروق حمادة: "إلا أننا إذا نظرنا في واقع الأمر ولم نبق في حيز الكلام النظري وجدنا أن صحة الإسناد وضبطه تقتضي أن يكون المتن صحيحا أي صحيح النسبة إلى قائلة إلا ما دلت دلائل، وقامت قرائن تدل على الغلط، أو الوهم، أو النسيان أو غير ذلك"[٣]

إذا صح سند الحديث يعني صح المتن بهذا السند لأن كل خلل في السند يتبعه خلل في المتن، والإنصاف العلمي يقتضي وضع الأمور في نصابها فقد اهتم أهل الحديث بالسند والمتن معـًا، ولكن لا يمنع ظهور كتابات تدعو إلى زيادة الاهتمام بجانب المتن خاصة في التوظيف العصري لها والبون بينهما واضح.

يقول العلواني: (استغرق العقل المسلم بما لا مزيد عليه في مجال التوثيق والرواية وتصحيح الأسانيد ونقدها، فإذا نظرنا في مساحة نقد المتون، ومناهج دراستها وتحليلها ظهر البون الشاسع بين الجهود الضخمة الهائلة التي بذلت في مجال نقد الأسانيد

(١)شمس الدين محمد الذهبي، المغني في الضعفاء، المحقق: نور الدين عتر عني بطبعه عبد الله بن ابراهيم الأنصاري (قطر: إدارة إحياء التراث الإسلامي، ١٤٢٦) ط١، ج: ٢، ص: ٢٤٥، رقم: ٥٨٤٩.

(٢)محمد مصطفى الأعظمي، منهج النقد عند المحدثين نشأته وتاريخه، ويليه كتاب التمييز للإمام مسلم (الرياض: مكتبة الكوثر)ط٣ في الهامش ص ٨٣.

(٣) فاروق حمادة المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، (الرياض: دار طيبة، ١٩٩٧)، ط٣، ص: ٤١٢.

والجهود المحدودة التي أنفقت في مجال نقد المتون، ووضح المنهاج والمقاييس العلمية لدراستها وتحليلها، وإبراز علاقات الأحاديث المختلفة بالزمان والمكان والبيئة والواقع)[1].

وليس المقصود عدم الاهتمام بنقد المتون؛ إنما يدعوا إلى الاهتمام بجوانب عصرية تثري الحديث النبوي، ولكن هل اهتم المحدثون بالسند أكثر من المتن؟ نعم، وذلك بِناءً عَلَى الحاجة لذلك، ولكن ليس على حساب المتن من جوانب:

١) أن علوم الإسناد أكثر من علوم المتن، والعناوين في علوم الحديث خير مثال يوضح ذلك.

٢) لم يكن إعطاء المحدثين الإسناد هذا الاهتمام اللازم على حساب المتن؛ فلقد كان للاهتمام بالمتن عند المحدثين في جوانب كثيرة جداً تدل على رسوخ أقدامهم في هذا المجال[2].

٣) إن التشنيع على المحدثين إنما هو ممن لم يعرفوا الأسانيد وحرموا من هذه النعمة التي غُبِطَ بها حديث النبي ﷺ من حيث الاهتمام به سندا ومتناً معاً؛ ولذلك يقول مرجليوث: " ليفخر المسلمون ما شاءوا بعلم حديثهم"[3].

يقول أبو شهبة: (لم يبلغ المحدثون في نقد المتون مبالغهم في نقد الأسانيد لأمور جديرة

---

(١)يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة المقدمة، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٠)ط١، ص: ١٠.

(٢) وتكلم في هذا: الشافعي في الرسالة، و ابن القيم في المنار المنيف، و ابن رجب في شرح علل الترمذي، وكتب مختلف الحديث ومشكله وناسخ الحديث ومنسوخه وغيرها شاهده على ذلك.

(٣)عبد الرحمن بن أبي حاتم، الجرح والتعديل، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٣م)، ط١، مقدمة المعلمي اليماني، ج: ١ص: ٢.

بالاعتبار تشهد لهم بأصالة النظر وعمق التفكير والاتئاد في البحث الصحيح)[١].

ويتبين بالوقوف وقفة واعية مع منهج المحدثين نجد أن نقد المحدثين للأحاديث كان متوازناً تماما فما يحتاج لجهود أكثر أعطي حقه بدون الغض أو بخس الجانب الآخر، وبمنهج متوازن يدل بالفعل على أصالة فكر وعلى عمق لا بل، ويُعتبر جانب سمو ورفعة، ولا يعتبر جانب سلبي؛ فيمكن القول أن المحدثين اهتموا بالسند أكثر من المتن مع إعطاء المتن ما يستحق حقه؛ فلم يكن الاهتمام بجانب على حساب جانب[٢].

المطلب الثاني
التشنيع (الشغب) على المحدثين في الاهتمام بنقد السند دون المتن من المعتزلة ومن طعن في الأحاديث

لقد اتُّهمَ أهل الحديث بأنهم حصروا عنايتهم في معرفة السند، ولا عليهم بعد ذلك إن كان المتن صحيحا في نفسه أو غير صحيح معقولا أو غير معقول؛ بل اتهمهم المعتزلة أيضاً أنهم أجهل الناس بما يحملون، من نُظَراء أبي علي الجبائي: أبو القاسم الكعبي (ت٣١٩) شيخ المعتزلة، وهو من رؤسائهم وقد وجه كتابه قبول في مجلدين إلى من سماهم المنتسبين إلى الحديث[٣]، وبين أنه أراد بيان مقدارهم من خلال ما قاله

---

(١)محمد أبو شهبة، دفاع عن السنة، (بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م)ط١، ص: ٣١.أنظر فاروق، المنهج الإسلامي، ص: ٤١١ وما بعدها.

(٢) وألفت كتب لا تحصى في نقد المتن أفادت من العلماء: كمسلم والشافعي وغيرهم.

(٣)عبد الله البلخي الكعبي، قبول الأخبار ومعرفة الرجال، تحقيق: أبي عمرو والحسيني بن عمر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م) ط١، ج: ١، ص: ٢٠.وعرفهم بقوله: "الذين حدثوا في دهرنا، وقبله بقليل فحملوا دينهم على العصبية، ودخلوا فيما ليس من شأنهم، وخالفوا السلف؛ فتكلموا، وطلبوا الرئاسة بإظهار التشبيه وغيره من فنون الكفر والضلال".

فيهم خصومهم، ووصفوهم به من المناقضة والجهل، وبين الجهل في متون الحديث من خلال"باب ما رووه عن كثير منهم من الركاكة، والسخف...وباب ما غلطوا فيه الغلط الظاهر الذي لا يتدافعونه، ولا يسألون عنه...وفي باب ما رووه عن ثقاتهم مما أجمعت الأمة على العمل بخلافه"[1]، وقال بتقديم النظر من العقل لمخالفته للقرآن أو المتواتر أو للعقل الحجة لأن الحديث الذي لا يأتيه الوحي من العقل، أو ما يختاره العقل لا يعمل بهذه المتون الحديثية: "الواجب اللازم التثبت وتقديم سُوء الظنِّ إلا بما ينظر فيه مما رووه فتجده غير مخالف لكتاب الله....أو للعقل الذي جعله الله حجة على عباده...لم يكن للأخبار فيهما عمل أكثر من تأكيد ما يوحيه العقل أو يخيره فيهما"[2] وقال أنه في حال ورود حديث و احتجاج خصم عليك: "فوقفت على صحة إسناده وسقمه...خصومهم يتسلقون عليهم من جهته وينسبونهم إلى قلة العلم به"[3].

لقد اهتم المعتزلة بالعقل، وقدموا العقل على الأدلة الشرعية القاطعة، ومنها متون الأحاديث النبوية؛ كقول القاضي عبد الجبار المعتزلي "في تقدمة العقل واعتباره الأصل، وليس مصادر التشريع، ووضعه عنوان الموضوع ونصه على تقديم العقل

(١)عبد الله، قبول الأخبار، ج١: ص: ١٧، وص: ١٨، باختصار،قال: "...خفت عليك أن تجاوز الحد في حسن الظن بأخبار كثير من المنتسبين إلى الحديث...فعملت كتابي هذا، وذكرت لك فيه أحوال القوم، وكان من أبواب كتابه: " باب من ترك قبول ما تدفعه العقول ويخالف الكتاب والسنة"، " وباب ما غلطوا فيه الغلط الظاهر الذي لا يدافعون ولا يسألون عنه"، "وباب في طعنهم بالجهل على جماعة من الصحابة والتابعين، وبدأ بأبي هريرة"، وذكر الكعبي أحاديث وطعن بالكذب ونقلها عنهم: عبد الله بن مسلم ابن قُتَيْبَةَ، تأويل مختلف الحديث، (بيروت: عالم الكتب، بدون تاريخ)ط١.ص: ٧٠، ١١١).

(٢) عبد الله، قبول الأخبار، ج: ١: ص: ١٧.

(٣) عبد الله، قبول الأخبار، ج: ١، ص: ١٨ باختصار.

والتركيز على الترتيب قبل متن القرآن ومتن السنة: "فصل في بيان الأدلة أولها: العقل؛ لأن به يميز بين الحسن والقبح؛ ولأن به يعرف أن الكتاب حجة، وكذلك السنة والإجماع وربما تَعجَّب من هذا الترتيب بعضهم، فيظن أن الأدلة هي الكتاب والسنة والإجماع فقط، أو يدل على أن العقل إذا كان يدل على أمور فهو مؤخَّر، وليس الأمر كذلك؛ لأن الله تعالى لم يخاطب إلا أهل العقل لأن به يعرف أن الكتاب حجة، وكذلك السنة والإجماع فهو الأصل في هذا الباب، وإن كنا نقول أن الكتاب هو الأصل من حيث التنبيه على ما في العقول"[1]، وهكذا عندما يتعارض متن حديث مع الأدلة التي أولها العقل الذي هو حجة وأول الأدلة يرد العقل هذا المتن، ولهذا قال القاضي عبد الجبار بعد ذكر حديث صحيح: " هذه الأخبار لا يجوز التصديق بها إذا كانت مخالفة للأدلة القاطعة"[2].

يقول ابن قُتَيْبَةَ(ت٢٧٦) في" ثَلْبِ أَهْلِ الْكَلَامِ أَهْلَ الْحَدِيثِ وَامْتِهَانِهِمْ، وَإِسْهَابِهِمْ فِي

(١)عبد الله البلخي الكعبي، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق فؤاد السيد، (تونس: الدار التونسية ١٩٧٢)، ط١.ص١٣٩.شمس الدين بن خلكان "ت٦٨١ هـ"، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٩٧٨م)، ط١، ج: ٣، ص: ٤٥.

(٢)عبد الله، فضل الاعتزال، ص: ١٥١ والاقتباس من الكتاب الثالث للقاضي، وذلك في كلامه على متن حديث خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ مع أنه في الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد الناصر، صحيح البخاري، (: دار طوق النجاة، ٢٠٠١) ط١.كِتَاب الِاسْتِئْذَانِ- بَاب بَدْءِ السَّلَامِ ج: ٨، ص: ٥٠ رقم: ٦٢٢٧.وفي مسلم بن الحجاج، ت ٢٦٢ هـ، صحيح مسلم المسند الصحيح المختصر، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٥)، ط١، ج: ٤، ص: ٢٠١٧، رقم: ١١٥ – ٢٦١٢، كتاب، الاستئذان، بَابُ النَّهْيِ عَنْ ضَرْبِ الْوَجْهِ.

الْكُتُبِ بِذَمِّهِمْ وَرَمْيِهِمْ بِحَمْلِ الْكَذِبِ، وَرِوَايَةِ الْمُتَنَاقِضِ حَتَّى وَقَعَ الاخْتِلَافُ، وَكَثُرَتِ النِّحَلُ، ...وَمَعَ رِوَايَتِهِمْ كُلَّ سَخَافَةٍ تَبْعَثُ عَلَى الإِسْلَامِ الطَّاعِنِينَ، وَتُضْحِكُ مِنْهُ الْمُلْحِدِينَ، وَتُزَهِّدُ مِنَ الدُّخُولِ فِيهِ الْمُرْتَادِينَ، وَتَزِيدُ فِي شُكُوكِ الْمُرْتَابِينَ...قَالُوا: وَمِنْ عَجِيبِ شَأْنِهِمْ أَنَّهُمْ يَنْسُبُونَ الشَّيْخَ إِلَى الْكَذِبِ وَلَا يَكْتُبُونَ عَنْهُ مَا يُوَافِقُهُ عَلَيْهِ الْمُحَدِّثُونَ بِقَدْحِ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ وَعَلِيِّ بن الْمَدِينِيّ وأشباههما، ويحتجون بِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِيمَا لَا يُوَافِقُهُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَقَدْ أَكْذَبَهُ عُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَائِشَةُ، وَيَحْتَجُّونَ بِقَوْلِ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، وَقَدْ أَكْذَبَهَا عُمَرُ، وَعَائِشَةُ....قَدْ قَنِعُوا مِنَ الْعِلْمِ بِرَسْمِهِ، وَمِنَ الْحَدِيثِ بِاسْمِهِ، وَرَضُوا بِأَن يُقَال: فُلَانٌ عَارِفٌ بِالطُّرُقِ، وَرَاوِيَةٌ لِلْحَدِيثِ.وَزَهِدُوا فِي أَنْ يُقَالَ: عَالِمٌ بِمَا كَتَبَ، أَوْ عَامِلٌ بِمَا عَلِمَ"[1]، ومن أَقَاوِيلُ النَّظَّامِ التي نقلها عنه ابن قتيبة: "وَلَهُ أَقَاوِيلُ فِي أَحَادِيثَ يدَّعي عَلَيْهَا، أَنَّهَا مُنَاقِضَةٌ لِلْكِتَابِ، وَأَحَادِيثَ يَسْتَبْشِعُهَا مِنْ جِهَة حجَّة الْعقل.وَذكر أَن حُجَّةِ الْعَقْلِ قَدْ تَنْسَخُ الْأَخْبَارَ".[2]

أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه بسنده إلى عمرو بْن عبيد ا لمعتزلي قال: "وذكر حديث الصادق المصدوق، فقال: لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبته، ولو سمعت زيد بْن وهب يقول هذا ما أحببته، ولو سمعت عبد الله بْن مسعود يقول هذا ما قبلته، ولو سمعت رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله تعالى يقول هذا لقلت له: ليس على هذا أخذت ميثاقنا".[3]

---

(١)ابن قُتَيْبَةَ، تأويل مختلف الحديث ص: ٥-١٠ باختصار.مع أن حديث خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ في البخاري.

(٢)ابن قُتَيْبَةَ، تأويل مختلف الحديث ص: ٣٢.

(٣)أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، تحقيق بشار عواد معروف(بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠١م)، ط١، ج: ١٤، ص: ٦٩.البخاري، الصحيح ج: ٩/، ص: ١٣٥، رقم: ٧٤٥٤، كِتَابُ

فيعتبر المعتزلة من أوائل من أثاروا هذه الشبه على الحديث النبوي، وجعله مثلبة على الحديث النبوي، وقد استفاد منها من جاء بعدهم، وأخذوا هذه القصاصات، وما تكلم به أهل الاعتزال على الأحاديث، ونسخوها، وحملوا هذه الأحاديث بأوراق تحمل عناوين براقة ومنهم أهل الاستشراق.

أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَاب قَوْلِهِ تَعَالَى { وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا}، والحديث في البخاري: "حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ أَنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا".وفي مسلم، الصحيح ج٨، ص٤٤، رقم: ٦٨١٦، كتاب الْقَدَرِ، باب خلق الإنسان وكتابة رزقه.ورد عليه إسماعيل ابن كثير القرشي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، (بيروت: دار إحياء التراث العربي١٩٨٨،)، ط١.

المبحث الثاني
عيب أو(الشغب) على المحدثين بالاهتمام بنقد السند دون المتن من المستشرقين

لقد تابع أهل الاستشراق المعتزلة في الثلب للمحدثين في عدم الاهتمام بالمتن، وقد توسعوا في توظيف كلام المعتزلة الذي رد عليه ابن قُتَيْبَةَ وغيره، وكان هذا منهم لأسباب كثيرة[1]، ولكن السبب الذي أود أن أنبه عليه هو ما اختص الله به هذه الأمة من الإسناد وحرم منه أهل الاستشراق.

يقول أكرم ضياء العمري: (إن تاريخ الأمم مبني على روايات مفردة ومصادر مفردة في كثير من حلقاته، وهم ينتقدون متون الروايات فقط ويحللونها وفق معايير نقدية تمكنهم من الوصول إلى صورة ماضيهم لعدم استعمال الأسانيد في رواياتهم التاريخية

(١) لقد رد أهل الاعتزال قديما أحاديث بنقدهم للمتون نقداً عقلياً ومن الأحاديث التي ردها المعتزلة وتابعهم عليها أهل الاستشراق، وقد ذكر ابن قتيبة مطاعن النظام شيخ المعتزلة وجماعة...على أهل الحديث في أنهم يروون أحاديث يُكذبها الواقع، أحاديث يدفعها النظر وحجة العقل.ابن قُتَيْبَةَ، تأويل مختلف الحديث ص: ص٦٦-٦٧) ونقل كلامهم قالوا حديث يُكذبه العيان ـ وفي أحاديث غير هذا الحديث كانوا يقولون حديث يكذبه العقل حديث يكذبه العقل...وذكر هذا الحديث وأمثاله وقد نقض بيوت العنكبوت التي نسجوها بل وأبطل سحرهم وأجاب عليه أمثال أحمد بن محمد الطحاوي، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط(بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤)ط١، ج: ١، ص: ٣٤٧، أَحمد بن حجر العسقلاني"ت٨٥٢هـ"، فتح الباري، تحقيق: عبد العزيز بن باز ومحب الدين الخطيب، (بيروت: دار الفكر، ١٣٧٩هـ)،ط١، ج: ١، ص: ٢١١، و أمثال محيي الدين النووي، المنهاج شرح صحيح مُسلِم بن الحجاج، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٢)، ط: ٢، ج: ١٥، ص: ٣٧، رقم: ٦٤٢٦ باب قوله لا تأتي مائة سنة)، وسائر شرَّاح الحديث النبوي، وكذلك مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع، ((بيروت: المكتب الاسلامي، ١٩٨٥)ط٤.، ص٢٧٠، ص٢٧٩) وغيرهم.

لأن الأسانيد اختصت بها الأمة الإسلامية، لكن ذلك لا يعني التخلي عن منهج المحدثين في نقد الروايات التاريخية)[١]، وعلق نجم على هذا بقوله: (وهذا يصلح تفسيرا موضوعيًا لهوس "نقد المتن" عند الغرب، وبواعث تفخيمه عندهم، وسعة رقعته في أعمالهم، وسرّ تركيزهم عليه)[٢].

فكان هذا من الأمور الداعية إلى التركيز على هذه الشبهة، واستغلال قول المعتزلة الذي فنده جهابذة مختلف الحديث ومن حذا حذوهم.

المطلب الأول
نماذج من المستشرقين الذين هاجموا المحدثين بالاهتمام بنقد السند دون المتن

ومن ابرز القائلين بهذه الفرية من المستشرقين على السنة النبوية – جولدسيهر- وفنسنك – وجوزيف شاخت وغيرهم[٣].

أولاً: لقد رَدَّدَ هذه الشبهة عدد من المستشرقين منهم شاخت الذي يقول: ومن المهم أن نلاحظ أنهم أخفوا نقدهم لمادة الحديث وراء نقدهم للإسناد نفسه[٤].

ثانيًا: جولد زيهر: وقد صرح بذلك فقال جولدتسيهر: (ولم يلق متن الحديث

---

(١) أكرم ضياء العمري، دراسات تاريخية مع تعليقة في منهج البحث وتحقيق المخطوطات، (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٩٨٣)، ط: ١، ص: ٢٧.

(٢) وبين أن منهج المحدثين قائم على النظرة التكاملية في العمل النقدي، نجم عبد الرحمن خلف، نقد المتن بين صناعة المحدثين ومطاعن المستشرقين، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٩٨٩)، ط: ١، ص: ٢٣.

(٣) محمد الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي، (عمان: المكتب الإسلامي، ١٩٩٢)ط١، ج: ٢ ص: ٤٥٦ .نجم، نقد المتن، ص: ٨.

(٤)يوسف شاخت، أصول الفقه، تعريب إبراهيم خورشيد وآخرين (بيروت: دار الكتاب اللبناني ١٩٨١م)، ط١)، ص: ٦٦.

اهتماما كبيراً بقدر ما لقي الإسناد نفسه من اهتمام)، وقال: (ولما كان الخطر الذي تهدد الأحاديث من الرواة المتهورين والمتحيزين لم يُدرك فإن ما أعطي لرجال السند من اهتمام كان ضئيلاً)[1]، وقال: (وقد اهتم المنهج النقدي الإسلامي في المقام الأول بالمظاهر الشكلية للنقد وهذه الأمور الشكلية هي القول الفصل في توثيق الحديث واثبات صحته، والحديث لا يوضع في ميزان النقد إلا من خلال شكله الخارجيّ، وبالتالي يتوقف الحكم بصحة المتن على صحة الإسناد، فإذا سَلِمَ الإسناد الذي رويت به عبارات مستحيلة ملأى بالتناقضات الداخلية والخارجية من هذا النقد الشكلي، وكان متصلاً، واحتمال إلتقاء رجاله قائماً، فالحديث صحيح، وليس بمقدور أحد أن يقول: إنّي أشك في إسناد الحديث لأن في متنه سخافات تاريخية لا يقبلها منطق)[2]، وقال: (وقد تقود وجهات النظر الشكلية للنقاد المسلمين بين الفينة والأخرى إلى نقد بعض عناصر المتون)[3]، وقال: (تحولت قصص المواعظ إلى حكايات مسلية حتى بلغت حد الهزل، والكل لا يخرج عن الأحاديث النبوية.وهو تارة يتهم حتى الصحابة بالكذب[4].فعند هذا المستشرق كان الاهتمام بالإسناد مع قلته اهتمام بالسند دون المتن.

ثالثًا: المستشرق السير وليم موير، وهو من المنصرين المتعصبين قال ذلك في كتابه" حياة محمد" صلى الله عليه وسلم.

---

(١)إجناتس جولدتسيهر، دراسات محمدية، ترجمة الصديق بشير نصر، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، مجلة مُحَكَّمَة، ١٩٩٣، العدد١٠، الجماهيرية الليبية- طرابلس، الفصل الرابع: رد الفعل ضد الوضع في الحديث، ص: ٥٠٠.

(٢)جولدتسيهر، دراسات ص: ٥٠٨- ص: ٥٠٩.

(٣)جولدتسيهر، دراسات ص: ٥١٣.

(٤)جولدتسيهر، دراسات ص: ٥٣٤.

رابعاً: غاستون ويت: والذي يقول: «وقد درس رجال الحديث السنة بإتقان إلا أن تلك الدراسة كانت موجهة إلى (السند) ومعرفة الرجال، والتقائهم وسماع بعضهم من بعض...ثم يقول: «لقد نقل لنا الرواة حديث الرسول مشافهة، ثم جمعه الحفاظ ودونوه، إلا أن هؤلاء لم ينقدوا (المتن)"[١].

خامساً: والمستشرقون الإيطالي كايتالي.فانه قال في كتابه الحوليات الإسلامية: " كل قصد المحدثين ينحصر ويتركز في وادٍ جدب ممحل من سرد الأشخاص الذين نقلوا المروي، ولا يشغل أحد نفسه بنقد العبارة والمتن نفسه "[٢].

سادساً: وكولسون تلميذ شاخت.وقد سبقه في القول بهذه الفرية. وإسناد " شاخت" اسمه جوزيف شاخت، مستشرق ألماني حاقد، توفي سنة ١٩٦٩م.

المطلب الثاني
نموذج لنقد المستشرقين للمتون وبيان اعوجاجه

لقد ذكر الأعظمي نموذجاً لنقد المتن عند المستشرقين ومن يمشي في ركابهم وكيف يحرفون الكلم عن مواضعه ويستقون النصوص من غير أصولها، وسلوكهم منهجاً إسقاطياً معيباً كما هو حال جولتسيهر ونقده لحديث" لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد"

قال جولتسيهر[٣]: إن عبد الملك بن مروان كان خائفاً من عبد الله بن الزبير من أن

---

(١) محمد عجاج الخطيب، .السنة قبل التدوين، (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٨م).ط٢، ص٢٥٤.نقلاعن Histoire Générale Des Religions (Islam)P.366، ولم أجده مترجم.

(٢) شاخت، أصول الفقه، ص: ٦٥.

(٣) الأعظمي، دراسات ج٢ ص ٤٥٦، وانظر من تأثر بالمستشرقين كجواد عفانة في الكتاب الذي سماه صحيح البخاري مخرجا لأحاديث محقق المعاني.

يأخذ البيعة من الشاميين الذين يحجون إلى بيت الله الحرام، لذلك التجأ إلى حيله واحتمى بالقاعدة وهي الحج إلى قبة الصخرة بالقدس بدلا عن الحج إلى مكة – ولذلك اصدر قرارا بان الطواف حول الصخرة يقوم في شرعيته مقام طواف الكعبة في الإسلام ولقد أسنده إلى التقي المحدث الزهري ليبرر هذا الهدف السياسي للإصلاح الديني باختراع حديث موصول إلى النبي صلى الله عليه وسلم ونشره بين الناس يفهم منه بان هناك ثلاثة مساجد يمكن أن يحج الناس إليها.مكة والمدينة، والقدس.ولاتهام عبد الملك بإلغاء الحج آو على الأقل بمحاولة الإلغاء يعتمد جولتسيهر على ما أورده اليعقوبي في تاريخه حيث يقول: ومنع عبد الملك أهل الشام من الحج وذلك أن ابن الزبير كان يأخذهم إذا حجوا بالبيعة فلما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكة فضج الناس، وقالوا تمنعنا من حج بين الله الحرام وهو فرض من الله علينا؟! فقال لهم: هذا الزهري يحدثكم أن سول الله(ﷺ) قال: لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة المسجد الحرام ومسجدي هذا ومسجد بيت المقدس" وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله (ﷺ) وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء تقوم مقام الكعبة فبنى على الصخرة قبة، وعلق عليها ستور الديباج وأقام لها سدنة واخذ الناس بان يطوفوا حولها كما تطوف حول الكعبة وأقام بذلك أيام بني أمية.

يقول الأعظمي: لكن يا ترى هل كان الزهري في منزلة تسمح له باختلاق حديث. ونسبته إلى النبي (ﷺ)؟ وهل كان في وسعه آو في وسع عبد الملك بن مروان إلغاء الحج وإيجاد بديل عنه، الحقائق التاريخية لا تؤيد هذا الإدعاء، بل تعارضه معارضة شديدة تمارضه معارضة شديدة.ولقد اختلف المؤرخون في تاريخ ولادة الزهري وتضاربت أقوالهم من الخمسين في الهجرة إلى الثامنة والخمسين ولم يلتق الزهري بعبد الملك

قبل سنة ٨١هـ.ومن ناحية أخرى كانت فلسطين سنة ٦٧هـ خارجة عن سيطرة عبد الملك بن مروان وكان الأمويون في عام ٦٨هـ بمكة في موسم الحج.وفي ضوء هذه الحقائق نستطيع أن نقول: إن عبد الملك بن مروان لا يمكن أن يفكر في بناء قبة الصخرة كبديل عن الكعبة إلا بعد سنة ٦٨هـ بمكة في موسم الحج.وتشير المراجع التاريخية فعلا بأنه بدأ بالبناء من عام ٦٩هـ، ولعل هذا هو الوقت المناسب لاستشهاده بحديث الزهري، وكان الزهري في ذلك ما بين عشرة وثمانية عشرة من عمره، وليس من المعقول أن يصبح طفل أو شاب في هذا العمر، مشهوراً في الأوساط العلمية في بيئة غير بيئته وموطن غير موطنه حيث تخضع له القلوب ليتمكن من إلغاء فريضة الحج المبينة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية مئات المرات، ولقد كان هناك عدد من الصحابة وكبار التابعين في الشام ما كان يمكنهم أن يسكتوا على هذا التزوير.وان قلنا: انه لم يكن لديهم إيمان كاف أو شجاعة كافية ليقوموا في وجه الباطل.ولو كانوا كذلك لغضبوا على عبد الملك لإهماله إياهم وإبعادهم عن منزلتهم بحيث استشهد بابن عشرة ولم يستفد من خدماتهم.ثم ان اليعقوبي نفسه يذكر أن الحج اصبح في يد الأمويين من عام ٧٢ هـ وما بعده وذهب عبد الملك بنفسه للحج في عام ٧٥هـ.وعمارة الصخرة لم تكمل الا في عام ٧٢هـ وفي هذه السنة وما بعدها كانت مكة- حسبما ذكره اليعقوبي في يد الأمويين لذلك لم يكونوا في حاجة إلى إيجاد بديل للحج ولا داعي للطواف حول الصخرة ولم يكن الأمويين مغفلون ليمنحوا أعداءهم سلاحا يستخدم ضدهم وهو أنهم غيروا حج بيت الله الحرام إلى زيارة الصخرة بالقدس.وبعد هذا وذاك كله فان الكلمات المنقولة عن الزهري لا تشير من قريب ولا من بعيد إلى إيجاد بديل للحج كما أنها لا توحي بتقديس الصخرة ولا بتحبيذ الطواف حولها كل ما هناك أنها تعطي منزلة خاصة للمسجد

الأقصى.أضف إلى ذلك أن الزهري ليس الراوي الوحيد لهذا الحديث بل هناك رواة موثوقون رووا هذا الحديث وهم:

١) إبراهيم بن سهل عن قزعة عن أبي سعيد الخدري.

٢) قاسم عن قزعة عن أبي سعيد الخدري.

٣) قتادة عن قزعة عن أبي سعيد الخدري.

٤) عبد الملك بن نمير عن قزعة عن أبي سعيد الخدري.أ.هـ

هذا النموذج الذي ذكره الأعظمي يدل بجلاء على أن المستشرقين كان نقدهم للمتون إسقاطياً، ويدل بجلاء أن المحدثين هم أهلٌ لنقد المتون، ولعمري لقد كان لنقد المحدثين صورة مشرقة تتضح بجلاء في هذا المثال وغيره، وتبين أمور كثيرة منها: أن هذا المنهج المعيب في عدم الاهتمام بنقد المتون هو سبيل من كان منهجهم عقيما، وهم يرون العيب أو القَذَى في عين غيرهم، ولا يرون الجِذْع في عيونهم؛ ولكن هذا الطعن كمن يرجو الخير من الأرض البور، وقد تأثر بأفكارهم التي تحمل البراق من العناوين بعض من بحث في هذا الموضوع.

المبحث الثالث
كلام من تأثر بالمستشرقين [١]

لم يتوقف الكلام على الحديث النبوي على المستشرقين فقد حمل أفكار هؤلاء بعض من تربوا في أحضانهم، أو انساقوا وراءهم وسايروهم مبهورين بما عندهم، وبما يساهم في خدمة أغراض أمثال هؤلاء، يقول نجم:"وقد تابع هؤلاء المستشرقين ــ فيم ذهبوا إليه ــ تلاميذهم، والمتأثرون بهم، وفيهم جملة من أبناء امتنا منهم: أحمد أمين...ومحمود أبو رية...وأحمد زكي أبو شادي...، وإسماعيل أدهم"[٢]، ويقول السباعي: "وإنه لمن المؤسف أيضاً أن تكون كتبهم قد بحثت في كل ما يتصل بالإسلام والمسلمين من تفسير وحديث وفقه...فأصبحت كتبهم هذه المراجع الأولى لطلبة العلم المتخصصين في المعاهد والجامعات العالمية، وأصبح هؤلاء هم حملت آراء وأفكار أسيادهم"[٣].

---

(١) منهم أحمد أمين يقول: " عنوا بنقد الإسناد أكثر مما عنوا بنقد المتن...إلى أن قال: حتى نرى البخاري نفسه على جليل قدره ودقيق بحثه يثبت حديث دلت الحوادث الزمنية والتجريبية على أنها غير صحيحة لاقتصاره على جرح الرجال" أحمد إبراهيم أمين، فجر الإسلام، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٩٣٥)، ط٣، ص: ٢٦٥.يقول السباعي: " وها أنا لم أجد فيما كتبه أحمد أمين في هذا الموضوع على رأي طريق لم يأخذه المستشرقين" (يقول أبو شهبة: وطلع علينا أبو ريَّة فإذا هو صورة لما أوجز في مقالة القديم) أبو شهبة، دفاع عن السنة ص: ٣٨، ص: ١٦٨، وقد رده من تبع المستشرقين تبعاً للمعتزلة والمتأثرين بهم كأبي ريَّة ورشيد رضا.ومحمود أبو ريه، أضواء على السنة المحمدية، (مصر: دار المعارف، بدون تاريخ) ط٥، ص١٧./ وحديث الذباب رده المعتزلة (أنظر الأمين الصادق الأمين، موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٩٩٨)، ط١، ج٢ ص٢٥١، ٢١٠ فقد فصل القول في ذلك وفي تفنيد هذه الشبهة وغيرها من الشبه، وأنظر ابن قُتَيْبَةَ، تأويل مختلف الحديث ص: ١٥٤.

(٢) نجم، نقد المتن، ص: ١٠.

(٣)مصطفى السباعي، الاستشراق والمُسْتَشْرِقُونَ ما لهم وما عليهم، (بيروت: دار الوراق، ١٩٩٩).ط١، ص: ٧.

يقول حسن ضياء عتر[1]: (إن ذروة النشاط الاستشراقي في إنشاء كليات وأقسام في الدراسات الإسلامية في جامعات الغرب ومنح الشهادة العالمية (الماجستير والدكتوراه لطلاب شعوب العالم الإسلامي في العلوم الإسلامية وأشعروا بعض المسلمين بهذا التطاول عليهم حتى في علوم دينهم ليفقدوهم الثقة بأنفسهم فيتعلقوا بتعلم العلوم حتى علوم دينهم من عدوهم.....وقد حقق هزا اللون من النشاط غاية ما تصبو إليه انفس المتحاملين من المستشرقين ولا حول ولا قوة إلا بالله).

نماذج متباينة نماذج لمن تأثر بالمستشرقين[2]

١) وممن عاب على المحدثين الاهتمام بالسند دون المتن: احمد أمين، [3]صاحب" فجر الإسلام" وضحى الإسلام"[4]ومحمود أبو ريه صاحب"أضواء على السنة المحمدية"[5] وأحمد زكي أبو شادي صاحب" ثورة الإسلام" إسماعيل ادهم[6].

٢) أما محمود أبو ريه[7]: (المحدثون لا يعنون بغلط المتون ونقدها).يقول أبو شهبة: (.....لقد سبق أبي ريه ورشيد رضا لهذه الدعوى المستشرقون، وردها من خالفهم

---

(١) حسن عتر، وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة نقض مطاعن المستشرقين، (دمشق: دار المكتبي، ١٩٩٩) ط١، ص: ٣٠ بتصرف(أنظر للاستزادة عبد الرحمن حبنّكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، التبشير الاستِشراق الاستِعمار دراسة وتحليل وتوجيه، (دمشق: دار القلم، ٢٠٠٠)ط٨، ص٨٧ وما بعدها.

(٢) هذه النماذج ليس المقصود منها الحصر أو المساواة بين أصحابها وإنما التمثيل.

(٣) أحمد، فجر الإسلام ص٢٦٧، أبو شهبة، دفاع عن السنة ص: ٦٠.

(٤)، أحمد أمين إبراهيم.ضحى الإسلام، (مصر: مكتبة النهضة، ١٩٧٩) ط٩، ج: ٢ ص: ١٣٠.

(٥) انظر: ابو رية، أضواء، ص: ١٧.وأنظر حمزة عبد الرزاق في ظلمات أبي رية.

(٦) انظر السباعي، السنة ومكانتها ص: ٢١٣.

(٧) ابو رية، أضواء، ص: ٢٦٣.وأنظر الأعظمي، منهج النقد ص ٨١.

من الباحثين فنرى كثير من أهل الحديث جمع بين الرواية والدراية)[١].

يقول محمود أبو ريه[٢]: إن الدارقطني وغيره من أئمة النقد، لم يتعرضوا لاستيفاء النقد فيما يتعلق بالمتن كما تعرضوا لذلك في الإسناد...بخلاف النقد المتعلق بالمتن فإنه يدركه كثير من العلماء الأعلام المشتغلين بالعلوم الشرعية، والباحثين عن مسألة الأصلية والفرعية، ككثير من المفسرين والفقهاء وأهل أصول الفقه وأصول الدين، وقد تعرض كثير من أئمة الحديث للنقد من جهة المتن إلا أن ذلك قليل جدا بالنسبة لما تعرضوا له من النقد من جهة الإسناد.

٣) وممن عاب على المحدثين الاهتمام بالسند دون المتن رشيد رضا: وقد نقل محمود أبو ريه كلام رشيد رضا -- وهو يتكلم عن حديث ذهاب الشمس بعد الغروب وهو من الأحاديث المشلكة عند أبي ريه ورضا: أن علماء الحديث قلما يعنون بغلط المتون فيما يخص معانيها وأحكامها – وإنما كانت عنايتهم التامة بالأسانيد وسياق المتون وعباراتها، والاختلاف فيها المرفوع والموقوف منها، وما عساه يكون مدرجًا فيها من كلام بعض الرواة مما ليس من النص المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإنما يظهر معاني غلط المتون للعلماء الباحثين في شروحها من أصول الدين وفروعه وغير ذلك.....وقال: لو انتقدت الروايات من جهة فحوى متنها، كما تنتقد من جهة سندها لقضت المتون على كثير من الأسانيد بالنقض.[٣]

---

(١) أبو شهبة، دفاع عن السنة ص: ٢٤١، و ص: ٤٢، و ص: ٨١، و ص١٧١ : ، وص: ٣٦ (بتصرف) وكان يستشهد بأقوالهم.

(٢) ابو رية، أضواء، ص: ٢٦٤-٢٦٥.

(٣) ولست بصدد الرد على كل شبهات رشيد رضا فقد ردها السباعي وأبو شهبة والشُرَّاح، وأنظر للاستزادة(شفيق

٤) وممن سمع كلاما قيل على المحدثين فردده إسماعيل الكردي وقال أنه لن يتطرق للسند في كتابه: يقول: (...بل ما يعنينا هنا هو دراسة المتن الذي تُجوهِل من قبل علماء الحديث، ورجاله....).[١]

ولله در فاروق حمادة وهو يقول[٢]: " عناية المسلمين بالمتن كعنايتهم بالإسناد، وهذه العناية قديمة قدم تدوين الحديث وروايته وجمعه، بل قدم العمل به في أيام الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم..، خلافا لما زعمته المدرسة الاستشراقية بزعامة اليهودي المجري غولد زيهر وتلامذته أمثال غاستون وايت ومن سار في ركابهم أمثال احمد أمين وأبي رية وغيرهم ومجمع خطلهم كان في ناحيتين اثنتين: الأولى: أنهم نظروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم على أنه رجل عادي من عامة الناس لا خصوصية له بالوحي ولا بالرسالة.الثانية: انهم اخذوا بعض أقواله عليه الصلاة والسلام التي زعموا أنها تخالف العلم الحديث ونسوا أن هذا العلم الحديث يتغير كل يوم ويتبدل".

ابن عبد بن عبد الله شقير، موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف دراسة تطبيقية على تفسير المنار، (عمان: المكتب الإسلامي، ١٩٩٨)، ط١.وففيه دراسة موسعة لست بصددها.وففيه دراسة موسعة.محمد رشيد بن علي رضا، تفسير القرآن الحكيم تفسير المنار، (مصر: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٠)بدون طبعةج: ٧، ص: ٤٦٠.قال: "وَإِنْ وَثَّقُوا رِجَالَهُ فَرُبَّ رَاوٍ يُوَثَّقُ لِلاغْتِرَارِ بِظَاهِرِ حَالِهِ، وَهُوَ سَيِّئُ الْبَاطِنِ وَلَوِ انْتُقِدَتِ الرِّوَايَاتُ مِنْ جِهَةِ فَحْوَى مَتْنِهَا كَمَا تُنْتَقَدُ مِنْ جِهَةِ سَنَدِهَا لَقَضَتِ الْمُتُونُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَسَانِيدِ بِالنَّقْضِ".محمد رشيد بن علي رضا، المقال الثامن البُهيتة الثالثة ما سماه تكذيب سجود الشمس، مجلة المنار، ١٩٢٢، المجلد٣٢، ص: ٧٧٢.

(١) مقدمة اسماعيل الكردي، نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث دراسة تطبيقية على بعض أحاديث الصحيحين، (دمشق: دار الأوائل، ٢٠٠٢)ط١، ص١٣، وقد توسع بما لا طائل تحته.

(٢) أنظر فاروق، المنهج الإسلامي، ص: ٤١٩.

فإثارة هذه الأُغلوطة من رواد تحكيم العقل المحدود في النص الذي صدر عن من قال الله فيه: " وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى "(١).أو ممن يرون في المخالفة سبب للشهرة والمعرفة وسرعة انتشار الكتاب و هو يرى هذا يرد عليه و يرى آخر ضحل الثقافة يُعجب مما يقرأ ويرى غير هذا؛ فكان إثارة هذه الشبهة وغيرها وكان فيها السير على خطا من يثلبون علماء الحديث ويغضون من جهود جهابذة النقاد الذين أفنوا أعمارهم في خدمة السنة، وغموضهم ما هو مفخرة للإسلام والمسلمين وما أبدع فيه جهابذة العلماء وهو حقٌ وصدقٌ منقبة لا مثلبة والمؤلم أن يمتطي صهوة ذلك جملة من أبنا جلدتنا فيقومون بانتقاء ما يوافقهم من الأحاديث ورد ما لا يوافقهم فيضربون بمعول لهدم السنة نسأل الله لنا و لهم الثبات وحسن الختام.

(١) سورة النجم آية: ٣-٤

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، لقد توصلت في هذا البحث إلى الاستنتاجات الآتية:

١) بالرغم من وضوح المنهج الذي سلكه المحدثون لحفظ السنة، فقد وُجد من شكك في سلامة هذا المنهج ونزاهته من خلال بعض الشبهات منها أن المحدثين عولوا في نقدهم للأحاديث على الأسانيد فقط، مغفلين تماماً النظر إلى المتون، وبالتالي انصبت جهودهم في هذا المجال على الجانب الشكلي السطحي أو النقد الخارجي- ويعنون به نقد السند- ، على حين غفلوا أو تغافلوا عن النقد الداخلي أو نقد الصيغة- ويعنون به نقد المتن .

٢) لقد طعن المعتزلة في المنهج الذهبي عند المحدثين وشنعوا عليهم- وإن كان كلامهم لم يبلغ في الوضوح مبلغ غيرهم، وحذا حذوهم حذو القذة بالقذة جملة من المستشرقين في دعوى الاهتمام بنقد السند.

٣) لقد تابع المستشرقين على المنهج الذي ساروا عليه بعض أبناء جلدتنا: إما بسبب الدراسة في جامعاتهم أو بسبب الضحالة للمعلومات الحديثة أو عدم نضجها.

٤) لقد فند العلماء المخلصين ذبا عن حمى السنة النبوية ونصرة للحق أمثال: الشافعي، وعلماء العلل، وعلماء مشكل، ومختلف الحديث، وأمثال ابن قُتَيْبَةَ، والسباعي وأبي شهبة وغيرهم، وكان لاهتمام المحدثين بنقد المتن مظاهر كثيرة؛ فيسر الله لهذه السنة أيادي أمينة مخلصة صانت هذه السنة مما يعتريها من ضباب قد يشوبها.

٥) لقد كان الطعن في الحديث مستنداً إلى النقد العقلي وهو عند المحدثين ينبع من رغبة جامحة للوصول إلى الحق، ويتم استخدام العقل فيما يحيط به العقل من

المحسوسات في إطار نص الشارع، وهو عند المعتزلة ناشئ عن رغبة جامحة في تحكيم العقل في النقل بل وتأليه العقل عند البعض؛ فيقبل كل واحد منهم ما لا يقبله الآخر، وما لا يتوافق مع عقولهم القاصرة، وهو عند بعض المستشرقين ناتج عن رغبة في الطعن في الحديث النبوي والرسالة المحمدية، ومن هنا اقتنصوا كلام أهل الاعتزال، وحرفوا النصوص، وسخروا ما هو متاح بين أيديهم من أموال لإخراج أجيال تنظر للنصوص بنَظْرةٍ مادية بحتة تقبل المحسوس، وتنكر ما هو خارج عن فهمها من نصوص فردوا الصحيح من الحديث تبعا للمعتزلة.

٦) لقد كان المحدثون يصححون المتن أحيانا ويضعفون السند والعكس.

٧) إن الحديث كالطائر الجناح الأول له السند والأخر المتن، ولم يترك علمائنا في عنايتهم بالحديث النبوي أحد جناحي الطائر فحلق الطائر في الآفاق، ومن نظر بعينيه رأى أنه لا يطير بجناح واحد إلا إن كان ينظر بعينٍ واحدة كمثيري هذه الشبهة.

٨) إن الشبه المثارة حول السنة من الكتاب المتأخرين تعود للمستشرقين ويرجع جذورها إلى المعتزلة- وقد فندها العلماء قديماً وحديثا؛ فكان دورهم أن يخرجوا ما كتبه المعتزلة في الأوراق الصفراء بغلاف جديد يحمل عناوين براقة تخدع غير المتخصص فالساعة ولو كانت من الماس تبقى ستين دقيقة.

٩) لا يعتبر التسلسل في رد الحديث دلالة أصالة في المنهج المتبع في رد الحديث النبوي؛ لأن هذا النقد السلبي كان بدون ضوابط ثابتة، ولا يوجد موضوعية في الطرح أو استخدام للمنهجية العلمية حتى كانت بعض الأحاديث يقبلها البعض بعقولهم ويرفضها البعض، وكان كلام البعض بناء على خلفية عقلية أو عقدية معينة؛ وكان من بعض المستشرقين طريق عصري من طرق السيطرة على المد الإسلامي لنزع

الثقة بالسنة النبوية كما أن النقد كان بِناءً عَلَى خلفية تكاد تكون سطحية في علم الحديث، وتلقي الضوء على ضحالة التسلسل في رد الحديث؛ لأنهم حكموا العقل القاصر في النصوص الغيبي وغير الغيبي منها، وغاب عنهم عندما كانوا يثيرون الغبار على سنة النبي ﷺ أنه هناك أيادي بيضاء انبرت لبيان انحرافهم؛ فكان بيان زيف هذه الشبه متسلسلاً مع ظهور هذه الشبه من أيام الشافعي وابن قُتَيْبَةَ إلى أيام السباعي والأمين الصادق وكل قلم حر.

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. ابن القيم، محمد الجوزية، زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق محمد البلتاجي، (لبنان: المكتبة العصرية، ٢٠٠٠).

٣. ابن حجر، أَحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري، تحقيق: ابن باز ومحب الدين الخطيب، (بيروت: دار الفكر)، ١٣٧٩هـ).

٤. ابن حجر، أَحمد بن علي العسقلاني، لسان الميزان، (بيروت: مؤسسة الأعلمي،١٩٨٦).

٥. ابن خلكان، شمس الدين أَحمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٩٧٨م).

٦. ابن قُتَيْبَةَ، عبد الله، تأويل مختلف الحديث في الرد على أعداء أهل الحديث، (بيروت: عالم الكتب، بدون تاريخ).

٧. ابن كثير، إسماعيل القرشي، البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، (بيروت: دار إحياء التراث العربي١٩٨٨،).

٨. أبو ريه، محمود، أضواء على السنة المحمدية، (مصر: دار المعارف، بدون تاريخ).

٩. أبو شهبة، محمد، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين وبيان الشبه الواردة على السنة قديما وحديثا وردها ردا علميا صحيحا ويليه الرد على من ينكر حجية السنة عبد الغني عبد الخالق، (بيروت: دار الجيل، ١٩٩١).

١٠.الأدلبي، صلاح الدين، منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي،(بيروت: دار الآفاق الجديدة،١٩٨٣).

١١.الأعظمي، محمد مصطفى، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، (عمان: المكتب الإسلامي، ١٩٩٢).

١٢.الأعظمي، محمد مصطفى، منهج النقد عند المحدثين نشأته وتاريخه، ويليه كتاب التمييز للإمام مسلم (الرياض: مكتبة الكوثر).

١٣.أمين، أحمد إبراهيم أمين، ظهر الإسلام، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، بدون تاريخ).

١٤.أمين، أحمد إبراهيم أمين، فجر الإسلام، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٩٣٥).

١٥.أمين، أحمد إبراهيم، ضحى الإسلام، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية،١٩٧٩).

١٦.الأمين، الصادق الأمين، موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٩٩٨).

١٧.البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير، (بيروت: دار طوق النجاة، ٢٠٠١).

١٨.جولدتسيهر، إجناتس، دراسات محمدية، ترجمة الصديق بشير نصر، (مجلة كلية الدعوة الإسلامية، ١٩٩٣، العدد١٠، الجماهيرية الليبية- طرابلس).

١٩.حبنّكة، عبد الرحمن الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، التبشير الاستِشراق الاستِعمار، (دمشق: دار القلم، ٢٠٠٠).

٢٠.حمادة، فاروق، المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، (الرياض: دار طيبة، ١٩٩٧).

٢١.الخطيب، أَحمد بن علي البغدادي، تاريخ مدينة السلام، تحقيق بشار عواد معروف(بيروت: دار الغرب الإسلامي، .٢٠٠١م).

٢٢.الخطيب، محمد عجاج، السنة قبل التدوين، (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٨م).
٢٣.خلف، نجم عبد الرحمن، نقد المتن بين صناعة المحدثين ومطاعن المستشرقين، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٩٨٩).
٢٤.الذهبي، شمس الدين، المغني في الضعفاء المحقق: نور الدين عتر عني بطبعه عبد الله الأنصاري (قطر: إدارة إحياء التراث الإسلامي، ١٤٢٦).
٢٥.الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم، الجرح والتعديل، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٩٥٣).
٢٦.رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم تفسير المنار، (مصر: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٠).
٢٧.رضا، محمد رشيد، ما سماه تكذيب سجود الشمس،(مجلة المنار، ١٩٢٢، المجلد٣٢).
٢٨.السباعي، مصطفى، الاستشراق والمُسْتَشْرِقُونَ ما لهم وما عليهم، (بيروت: دار الوراق، ١٩٩٩).
٢٩.السباعي، مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع، ((بيروت: المكتب الاسلامي، ١٩٨٥).
٣٠.شاخت، يوسف، أصول الفقه، تعريب إبراهيم خورشيد وآخرين، (بيروت: دار الكتاب اللبناني ١٩٨١).
٣١.شقير، شفيق بن عبد، موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي دراسة على تفسير المنار، (عمان: المكتب الإسلامي، ١٩٩٨).
٣٢.الطحاوي، أحمد بن محمد، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط(بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤).

٣٣.عتر، حسن ضياء الدين، وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة نقض مطاعن المستشرقين، (دمشق: دار المكتبي، ١٩٩٩).

٣٤.العمري، أكرم ضياء، دراسات تاريخية مع تعليقة في منهج البحث وتحقيق المخطوطات، (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٩٨٣).

٣٥.العمري، أكرم ضياء، مناهج البحث وتحقيق التراث، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٩٩٥).

٣٦.العمري، محمد على، دراسات في منهج النقد عند المحدثين،(عمان: دار النفائس، ٢٠٠٠).

٣٧.فوزي، إبراهيم، تدوين السنة، (لندن : رياض الريس، ١٩٩٤)ط١.

٣٨.القرضاوي، يوسف، كيف نتعامل مع السنة المقدمة، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٠).

٣٩.الكردي، اسماعيل، نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث دراسة تطبيقية على بعض أحاديث الصحيحين، (دمشق: دار الأوائل، ٢٠٠٢).

٤٠.الكعبي، عبد الله بن احمد البلخي ت٣١٩، و القاضي عبد الجبار ت ٤١٥، والحاكم الجشمي ت ٤٩٤، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ومباينتهم لسائر المخالفين، تحقيق فؤاد السيد، (تونس: الدار التونسية ١٩٧٢).

٤١.الكعبي، عبد الله بن أحمد البلخي، قبول الأخبار ومعرفة الرجال، تحقيق: أبي عمرو والحسيني بن عمر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠).

٤٢.المرزوقي، المعتز، الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين، (المدينة المنورة مجلة الإعجاز العلمي رابطة العالم الإسلامي، العدد الثامن، يناير ٢٠٠١).

٤٣.النووي، محيي الدين، المنهاج شرح صحيح مُسلِم بن الحجاج، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٢).

٤٤.النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٥).

فهرس الموضوعات

موجز عن البحث ٩٨

المقدمة ١٠٠

المبحث الأول : الاهتمام بالسند والمتن والتشنيع (الشغب)على المحدثين بالاهتمام بنقد السند دون المتن من المعتزلة ١٠٣

المطلب الأول :الاهتمام بالسند والمتن ١٠٣

المطلب الثاني : التشنيع (الشغب) على المحدثين في الاهتمام بنقد السند دون المتن من المعتزلة ومن طعن في الأحاديث ١٠٦

المبحث الثاني : عيب أو(الشغب) على المحدثين بالاهتمام بنقد السند دون المتن من المستشرقين ١١١

المطلب الأول : نماذج من المستشرقين الذين هاجموا المحدثين بالاهتمام بنقد السند دون المتن ١١٢

المطلب الثاني : نموذج لنقد المستشرقين للمتون وبيان اعوجاجه ١١٤

المبحث الثالث : كلام من تأثر بالمستشرقين ١١٨

الخاتمة ١٢٣

قائمة المصادر والمراجع ١٢٦

فهرس الموضوعات ١٣١